

كلمة الدكتور مروان الحاسني رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق في حفل استقبال الدكتور عبد الناصر عساف

أيها السيدات والسادة

تحية طيبة لمن لَبَّى دعوتنا وحضر ليشاركنا في استقبال عضو عامل جديد، يدخل مجمعنا محمولاً على إنتاجه العلمي الغزير في الصرف والنحو والأساليب اللغوية المعاصرة. هو الدكتور عبد الناصر عساف الذي تخرّج في جامعة دمشق ونال الدكتوراه فيها، ينضم إلى مؤسسة ظهرت إلى الوجود قبل ما يقارب قرناً من الزمان، وكانت أول مجمع لغوي في العالم العربي، أنشئ للحفاظ على اللغة، وإعادتها إلى وجدان أبنائها، وقد باشر مؤسسوه بكل جدّ الانفتاح على الحداثة المعاصرة بعد انطلاق النهضة العربية المعاصرة التي خلفها عهد التنوير الأوربي.

ونحن اليوم نعتقد أن مهام المجمع تركز على فهم دقائق اللغة العربية التي يمكن أن يُعيننا التعمّق فيها على السير في مهمتنا الكبرى، وهي إيصال لغتنا إلى احتواء توطين العلوم في طيّات مخزونها اللغوي الفريد، لتُعيد إليها موقعها العالمي في حادثة سريعة التطور.

إنّ اللغة العربية لغةٌ عريقة قديمة، وليست لغةً عتيقةً حملتها إلينا

عواصف التاريخ بعد أن عطّلت مكونات نظامها، بل إنها لغة مازال نظامها مرتبطاً بالمحرّكات الأصلية التي تسيّر اللغات: وهي دقة التوصيف الذهني للألفاظ، وحسن سبك العبارة، وصولاً إلى الفهم، بالاعتماد على مخزون لغوي يكاد يكون لامتناهياً في تنوعه وشموليته. ذلك أن هناك عدداً من اللغات الأوربية قد تشربت عناصر لغة عالمية طاغية في زمان ما، واستفادت مما يحمل المعنى من أجزائها، لإدخاله في انفتاحها اللغوي، معتمدة خصائصها الإلصاقية لتعيد تركيب ألفاظها بإدماج العناصر الغريبة في منطلقات ألفاظها، وهي السوابق واللواحق اللاتينية والإغريقية، التي أصبحت أجزاءها مكونات مستقرة لتوضيح معنى الألفاظ في اللغات الأوربية. وأما اللغة العربية، كما حللها اللغويون الأول كسيوييه والخليل بن أحمد، فهي لغة يحكمها المنطق بأدق قوانينه، وهي علمية التكوين باستنادها إلى الأسس الرياضية الواضحة في إبدال الحروف وتصريف الأفعال.

وهذا ما يجعلنا نرفض أقوال من يُصرون على أن لغتنا قد شاخت، وأن نحوها يحول دون تمكّنها من التجاوب مع متطلبات الحداثة، ويدعون أنها «وأقتبس» ليست قادرة على تلبية حاجتنا اليومية الموصوفة بمصطلحات غريبة عنها، وذلك إضافة إلى استفسار آخر، «وهو مدى تأثير اللغة في العقل والسلوك البشري»، وهو تساؤل يجب عكسه قائلين: ما هو مدى تأثير العقل في اللغة؟.

وقد وصل بعضهم إلى تشبيه اللغة العربية اليوم بلغة شكسبير، التي يقولون إنها أصبحت لغة لا يفهمها أحد، ولكن أين إنكليزية القرون الوسطى من لغة تغوص جذورها في أعماق التاريخ، وما زال شعرها في جاهليتها تتلأأ فيه نفحات المشاعر الإنسانية، وصفحات العزة والكرامة؟.

وهي لغة استحوذت في طيات نظامها اللغوي على منطلقات العلوم التجريبية، واللبنات القاعدية لما وصل إلى أوروبا من فكر فلسفي وتعبير رياضي، حتى تمكنت من استنباط علومها من تلك الكتب العربية التي تُرجمت إلى اللغات الأوروبية.

لا بد لنا من القول إن مثل هذه الترهات لا تمسّ اللغة العربية في حقائقها كما نعيشها، ونفخر بانتمائنا بواسطتها إلى حضارة تجاوزت مع متطلبات العقل البشري، باعتمادها لغةً متكاملةً يحترم نحوها متطلبات العقل الإنساني، وقد عرفت تلك التساؤلات التي دارت بين مدارس النحو حول ضرورة توضيح العامل في الوظائف النحوية.

لذا يجب علينا التصدي لما يحيط بنا من آراء انهزامية لا تكتفي بمهاجمة لغتنا، بل ترتمي في أحضان لغات لا تعرف من موازينها إلا القليل، وتبقى مغترّة بريقٍ علمي هو إنتاج الفكر الإنساني، وليس إنتاج اللغات الأجنبية.

إنّ مجمعنا يرفض أن تُحشر أعماله فيما يسمّونه تطوير اللغة العربية، الذي يمكن اختزاله بأنه تشويهٌ لنحوها وإسقاطٌ لما تتميز به من دقائق تدفع اللبس عن الخطاب، كُنون النسوة مثلاً، أو ما تختص به من وضوح إعرابٍ يحدّد العلاقة بين الألفاظ، وسهولة الاشتقاق المفتوح على توليد الألفاظ الشارحة للمعاني برغم تعدد مجالات استعمالها.

إنّ مسارنا هو مسارٌ جادٌ لتحديث اللغة العربية، أي فتح الأبواب المؤدية إلى تفهّمها لروح العصر، برغم ما يعترى تلك الروح من صرعات وهزات، ليسهل تطابق لغتنا مع منتجات الحداثة العلمية والتقنية، التي ما فتئت تُغرق الأسواق والأذهان بما تُدخله إلى حياتنا اليومية.

إنّ هذا التحديث هو ما تهدف إليه المعجمات العلمية التي أصدرها المجمع، وذلك بأن تُتيح لأبنائنا أن يتخاطبوا في مجال اختصاصهم بلغة عربية صحيحة معبّرة، في سياق مناقشاتهم العلمية، لعلّ تلك الحوارات تنتهي إلى مشاركةٍ عملية في تقدم العلوم.

إنّ ما تتميز به لغتنا من قوالبٍ بنيويةٍ وارتباطٍ وثيق بين اللفظ والمعنى، وقلة ما فيها من مقترضات لسانية طوّعتها بفضل خصائصها، يجعلها لغةً فريدة في عالم اليوم، لا تُعكّر صفاءها شوائبٌ تعطل تطابقها مع نواظم الشعر، ودقة التعبير، فهي من أوسع اللغات العالمية إن لم تكن أوسعها.

أيها الحفل الكريم:

يعتقد الكثيرون أنّ مهمة مجمع اللغة العربية تقتصر على متابعة استعمال اللغة للتنبه على ما قد يطرأ على حسن انتقاء ألفاظها، وأهم من كل ذلك وما يعتقدونه مُلِحاً هو تيسير قواعد النحو التي يعتبرونها صارمةً يصعب فهمها، وأنّ على المجمعين إيجاد السبل لتسهيلها. لذا فهم يتصورون المجمعين مُنكبين على مناقشات في النحو والصرف، وانتقاءً للأساليب، وتصنيفٍ للألفاظ حسب سُلّمٍ متدرج يُحدد موقعاً لكل لفظة، ولكل تعبير، في مراتب الفصاحة.

وحقيقة الأمر أنّ الإنتاج الأكبر لمجمعنا هو مجموع تلك المعاجم العلمية التي أصدرها المجمع في السنوات العشر الأخيرة، وهي تنضوي تحت لواء مشروعٍ عملي: توحيد المصطلحات العلمية في التدريس الجامعي، ما دامت سورية هي البلد العربي الوحيد المُصرّ على تدريس جميع العلوم باللغة العربية، وذلك في جامعات خمس رسمية، وهو مشروعٌ فرضته مشكلات حقيقية، بعد ظهور خلافات حادة حين نقل المصطلحات

العلمية الحديثة إلى اللغة العربية، إذ ظهرت مصطلحات جديدة يريد أصحابها فرضها، مستندين إلى فهمهم لها من خلال لغة البلاد التي أوفدوا إليها، إذ دخل تأثير الألمانية إلى جانب الروسية، وإلى جانب الفرنسية والإنكليزية، وقامت مشادات حقيقية لم يمكن حلها إلا عن طريق لجان ألفتها المجمع من أفراد يعرضون ميولهم على لجنة تضم جميع النزعات، ليخلصوا إلى إيجاد مقابل عربي واضح لكل مصطلح.

وقد أصدر مجمعنا المعاجم العلمية في الموضوعات التالية:

«الكيمياء، الفيزياء، علوم الحياة الحيوانية، علوم الحياة النباتية الزراعة، الجيولوجيا، المعلوماتية، الرياضيات، الاستشعار عن بعد»، ونحن في طريقنا إلى إصدار معجم للعلوم البيئية، واستكمال معجم ألفاظ الحضارة.

وأما المعجم الموحد للمصطلحات الطبية، فقد سبق اتحاد الأطباء العرب مجمعنا في إصداره في السبعينيات من القرن الماضي عن طريق لجنة يرأسها أستاذنا الكبير الدكتور حسني سبوح رحمه الله، وكان الرئيس الرابع لمجمعنا، وساهمنا فيها أنا وزميلي هيثم الخياط سنواتٍ طويلة قبل دخولنا إلى المجمع، إلى جانب مجتمعيين أجلاء من مصر والعراق.

وتقوم اليوم لجنة المعاجم بتحضير معجم دلالي مُبتكر هو معجم دلالات الأبنية اللغوية، نحاول فيه تصنيف الألفاظ في جميع مدلولاتها، إثباتاً لما تتمتع به اللغة العربية من ثروة لفظية تظهر في النصوص بالمعنى الذي يفرضه السياق، دون أن يدعو ذلك إلى أي التباس، بعد الاطلاع على المجالات المختلفة التي يمكن استعمال تلك اللفظة فيها بالمعنى المطلوب (أبواب صفات الإنسان والحيوان والنبات والمشاعر والعواطف والأمراض والأدوية...).

ولا بد من ذكر تلك اللجان المختصة بمصطلحات الإعلام، وطب

الأسنان الحديث، وعلوم البيئة، التي لم تصل بعد إلى إتمام أعمالها، وأما الدراسات اللغوية الدقيقة التي تقوم بها لجنة اللغة العربية وعلومها، من تصحيح للأخطاء الشائعة أو دراسة للألفاظ والأساليب الجديدة، فهي المنطلق لما يقيمه المجمع من ندوات تُعرض فيها قراراتها على خبراء يُدعون للمشاركة في أعمال الندوة وينتهي الأمر بها بعرضها على مؤتمرات اتحاد المجمع العربية لإيصالها إلى إقرار نهائي.

أيها الحفل الكريم:

لا يسعنا إلا أن نشكر اللغويين من أعضاء المجمع لمشاركتهم في أعمال اللجان العلمية، لمساعدة المختصين على انتقاء أفضل المقابلات للمصطلحات المعروضة، بعد أن يُقدّم المختصون تفسيراً واضحاً لما يتضمنه المصطلح الأجنبي من معانٍ في اللغة الأجنبية.

ونحن نرحب بالدكتور عبد الناصر عساف شريكاً في اللجان العلمية لنستفيد من خبراته.

وقد طلبنا إلى الأستاذ مروان البواب عضو المجمع أن يبسط أمامكم السيرة العلمية لزميلنا الجديد، الذي سيتكلم عن المجمعِ المؤسس الشيخ سليم البخاري فليتنفضل.